

كتاب الجهاد^(١)

(١) أى هذا كتاب في ذكر الاحاديث التي يستنبط منها أحكام الجهاد وهو بكسر الجيم وأصله في اللغة المشقة يقال جهدت جهادا بلغت المشقة : وشرعا بذل الجهد في قتال الكفار المرتدين عن الاسلام الى أن يرجعوا الى الدين : ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق . فاما مجاهدة النفس فبلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها : وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات : وأما مجاهدة الكفار فبقتل باليد والمال واللسان والقلب : وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب وليس له أن ينتقل من اليد الى اللسان الا اذا لم يستطع الجهاد باليد وهكذا : وهذا الباب من أهم أبواب النقه ومن مقومات الدين وبه حفظ كيانه وهو واسع الاطراف طويل الذبول عظيم الفوائد كثير المنافع لذلك افردته غير واحد من العلماء بالتأليف . وقد ورد في فضله آيات وأحاديث كثيرة ومن شأن الامة ان تكون مستعدة لمكافئة عدوها ومحاطة بالقوة من كل جهة لخايتها من النكال بها فهو كالامر اللازم لها . بالجهاد تسمد وتنفوق ويمد في أمدها وتوسع املاكها وتنتشر مذهبها وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا واربعوا على أدبارهم هي السفلى لذلك تجرد الخلفاء الراشدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تركوا الجهاد طرفة عين مع كثرة الفتن في زمنهم لذلك اتسع ملكهم وانتشر دين الاسلام انتشارا لم يهد اغيره حتى وصل الى اقاصى البلاد والمدن الشاسعة وصارت الناس تمتنع الدين الاسلامى طوعا لا كرها لما رأوا من احكامه السهلة وقواعده المقبولة وسياساته العادلة ومعاملاته المبنية على الرفق والعدل والانصاف والمساواة بين الافراد واطلاق الحرية الشخصية التي لا تنافي المبادئ الممقولة المؤسسة على السلم والمصالح العامة : ولما ترك الجهاد تدريجيا أصبحت تنفك عري هذه الممالك وتنحل قوى هذه القواعد وتضغف قلوب المنتسبين اليها وتدخل اليها الشبه والشكوك ويتحكم الاختلاف بينهم والوجل وتكثر المنازعات ويتفرقوا احزابا كل حزب بما لديهم فرحون حتى استولى العدو على غالب ممتلكاتهم وجعلوا في ذل وصفار ولم يبق منهم الا بقية في بلاد الحجاز نسأل الله أن يسلمها وينصرها ويثبت أقدامها ويهزمها : ولعل الحديث يصدق عليها « لم تنزل طائفة قائمة بامر الله لا يضرها من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فعلى المسلمين الذين تحت حكم الاجنبي وسيطرة العدو أن يمدوهم بالمال والرجال ويؤازروهم ويشدوا عضدهم ويحثوا الناس على اتباعهم وحبهم والدعاء لهم ليلا نهارا لان المسلم الحقيقي الذي يعمل لنفسه وأمتة أصبح نادرا فالأغلب رجع عن دينه وأرتد وحارب كل ما يتعلق بالدين من أحكام شرعية وأزياء قومية ومعاملات اسلامية : ومنهم طائفة تزندق وتفرنجت وادعت ما وسوس اليها الشيطان من الاباطيل حقا واخذت تدود عنه وتطمئن على الملة الاسلامية بترهات باطلة وشبه بموهة فانهم الله متى يرجعون

١ - **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوَيْ فِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ أَنْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَاصْبِرُوا وَعَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّالِ السَّيُوفِ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُمَّ مُنْزِلُ الْكِتَابِ وَجُزِّي السَّحَابِ وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ اهْزِمِهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ ﷺ (١)**

فيه دليل على استحباب القتال بعد زوال الشمس . وقد ورد فيه حديث (٢)

الى الدين الهدي والصراط المستقيم والشريعة الطاهرة العادلة التي ليلها كنفها : ورجو الله تعالى أن يوفق هذه الطائفة التي هي بقية الاسلام الى النظر فيما يصلحها فتمله وفيما يفسدها فتحذره ولا تترك العمل بالدين قيد شبر فان نجاتها ونهرها وبقائها وخذلان اعدائها لا يكون الا بجمل العدل ردا عما والانصاف ازارها وكامة الحق تاجها واصلاح ذات البين اساسها والاخذ بيد المظلوم والفتك بالظالم ديدنها والعمل بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة مستندها واجلال العلماء العامين والرحمة بالصغار والنساء وتوقير الكبار شعارها: وذكر في الباب تسعة عشر حديثاً (١) خرجه البخاري في غير موضع مطولاً بهذا الاظ ومختصراً : ومسلم وأبو داود والترمذي والامام احمد بن حنبل : وقوله «انتظر اذا حتى مالت الشمس» لأن الرياح تهب غالباً بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدة السلاح والحرب وزيادة في النشاط : وقوله «واسألوا الله العافية» قال النووي هي من الالفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة اللهم اني أسألك العافية العامة لي ولاحبابي ولجميع المسامين : وقوله «فاذا لقيته وهم فاصبروا» هذا حث على الصبر في القتال وهو آكد أركانها : وقد جمع الله سبحانه آداب القتال في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم واصبروا ان الله مع الصابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله) : والله أعلم

(٢) قال في المدة أنول كأنه يريد ما أخرجه احمد من حديث عيينة بن تامر كان رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن ينهض الى عدوه بعد زوال الشمس :

اصرح من هذا او اثر عن بعض الصحابة. ولما كان لقاء الموت من أشق الاشياء وأصعبها على النفوس من وجوه كثيرة وكانت الامور المقدره عند النفس ليست كالامور المحققة لها خشي ان لا يكون عند التحقيق كما ينبغي فكره تمنى لقاء العدو لذلك ولما فيه من الخلل ان وقع للنفس من المخالفة لما وعد الانسان من نفسه ثم امر بالصبر عند وقوع الحقيقة . وقد ورد النهي عن تمنى الموت مطلقا لضر نزل به : وفي حديث « لا تمنوا الموت فان هول المطامع شديد » وفي الجهاد زيادة على مطلق الموت . وقوله عليه السلام « واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » من باب المبالغة والمجاز الحسن فيجوز ان يكون من مجاز التشبيه (١) مع حذف المضاف فان ظل الشيء لما كان ملازما له جعل ثواب الجنة واستحقاقها عن الجهاد واعمال السيوف لازما لذلك كما يلزم الظل . وهذا الدعاء لعله اشارة الى ثلاثة اسباب تطلب بها الاجابة . احدها طلب النصر بالكتاب المنزل وعليه يدل قوله عليه السلام « منزل الكتاب » كانه قال كما انزلته فانصره واعله . واشارة الى القدرة بقوله « ومجرى السحاب » واشارة الى امرين بقوله « هازم الاحزاب » احدهما التفرد بالفعل وتجديد التوكل واطراح الاسباب واعتقاد ان الله هو الفاعل : والثاني التوسل بالنعمة السابقة الى النعمة اللاحقة وقد ضمن الشعراء هذا المعنى اشعارهم بعد ما اشار اليه كتاب الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام في قوله (ولم اكن بدعائك رب شقيا) وعن ابراهيم عليه السلام في قوله (ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا) وقوله الشاعر

كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

وقال الاخر

لا والذي قد من بالا * سلام بثلج في فوادي

ما كان يختم بالاساء * وهو بالاحسان بادي

(١) لعله من قبيل الاستعارة التبعية لقولهم زيد في نعمة لما كان الجهاد المبرر عنه بظلال السيوف مقتضيا للجنة وسببا قويا من اسبابها جعل بمنزلة الظرف المحيط بها والله أعلم

٢ -  عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَبَّاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا  (١)

الرباط مراقبة العدو في الثغور المتاخمة لبلاده : وفي قوله عليه السلام خير من الدنيا وما عليها وجهان : أحدهما ان يكون من باب تنزيل الغيب منزلة المحسوس المحقق تحقيقه قاله وتثبيتا في النفوس فان ملك الدنيا ونعيمها ولذاتها محسوسة مستعظمة في طبائع النفوس فحقق عندها ان ثواب اليوم الواحد في الرباط وهو من المغيبات خير من المحسوسات التي عهدتموها من لذات الدنيا : والثاني انه قد استبعد بعضهم ان يوازن شيء من نعيم الآخرة بالدنيا كلها فحمل الحديث او ما هو في معناه على ان هذا الذي رتب عليه الثواب خير من الدنيا كلها لو انفقت في طاعة الله تعالى وكأنه قصد بهذا ان تحصل الموازنة بين ثوابين أخرويين لاستحقاقه الدنيا في مقابلة شيء من الآخرة ولو على سبيل التفضيل والاول عندي أوجه واظهر : والغدوة بفتح الغين السير في اول الوقت الذي في اول النهار الى الزوال : والروحة من الزوال الى الليل واللفظ مشعر بانها تكون فعلا واحدا ولا شك انه قد يقع على السير والكثير من الفعل الواقع في هذين الوقتين ففيه زيادة ترغيب وفضل عظيم *

(١) خرجه البخاري بهذا اللفظ : ومسلم والامام احمد بن حنبل : وقوله « رباط يوم » الرباط بكسر الراء المهملة وفتح الباء الخفيفة هو ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم : وقوله « وما عليها » عدل عن فيها لان معنى الاستملاء أعم من الظرفية وأقوى فقصده زيادة المبالغة : والله أعلم

٣ -  عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ
 ائْتَدَبَ اللَّهُ : وَوَلِّسَلِمٌ تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ
 إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَى ضَامِنٍ أَنْ
 أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجَعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ
 مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ : وَوَلِّسَلِمٌ مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ كَمَا تَمَثَّلَ الصَّائِمُ الْقَائِمُ وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي
 سَبِيلِهِ أَنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ
 غَنِيمَةٍ  (١)

الضمان والكفالة ههنا عبارة عن تحقيق هذا الموعود من الله سبحانه وتعالى فان
 الضمان والكفالة مؤكدا ان لما تضمن وتكفل به وتحقيق ذلك في لوازمهما . وقوله
 لا يخرج منه الا جهاد في سبيلي وايمان بي دليل على انه لا يحصل هذا الثواب الا لمن
 صحت نيته وخلصت من شوائب ارادة الاعراض الدنيوية فانه ذكر بصيغة النفي
 والاثبات المقتضيين للحصر : وقوله فهو على ضامن قيل ان فاعلا ههنا بمعنى مفعول
 كما قيل في ماء دافق وعيشة راضية اي مدفوق ومرضية على احتمال هاتين اللفظتين
 اغير ذلك وقد يقال ان ضامنا بمعنى ذا ضمان كلابن وتامر ويكون الضمان ليس منه
 وانما لسبب اليه لتملقه به والعرب تضيف لادنى ملابسة : وقوله ارجمه مفتوح

(١) خرجه البخاري في غير موضع : ومسلم والنسائي : وقوله : « ائتدب » بكسر الهمزة
 وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوق وبالدال المهملة وفي آخره باء موحدة من قولهم ندبه
 لامر فائتدب له أي دعاه له فاجاب : فكأن الله تعالى جعل جهاد العباد في سبيل الله سؤالا
 ودعاه له اياه : وقال صاحب المطامع قوله ائتدب الله لمن جاهد في سبيله اي سارع بموابه وحسن
 جزائه : وقوله « وتوكل الله للمجاهد » اي تكفل الله له : والله أعلم :

(٢) ولا يبعد ان يجعل من التشبيه البليغ أي كالضامن شبه المجاهد في وثوقه بما عند الله
 لمن الاجر بالضامن الذي لا يدخل نفسه في القهانة الا بعد وثوقه بالوفاء من المضمون عليه :

الهمزة مكسور الجيم من رجمه ثلاثيا متعديا ولازمه ومتعديه واحد. قال الله تعالى (فان رجمك الله الى طائفة منهم) قيل ان هذا الحديث معارض للحديث الآخر وهو قوله عليه السلام « ما من غزاية او سرية تغزو فتغنم وتسلم الا كانوا قد تعجلوا ثلثي اجرهم وما من غزاية او سرية تغزو فتخفق أو تصاب الا تم لهم اجرهم » والاختلاف ان تغزو فلا تغنم شيئا ذكر القاضى معنى ما ذكرناه من المعارضة من غير واحد . وعندى انه اقرب الى موافقته منه الى معارضته ويعد جدا ان يقال بمعارضتهما نعم كلاهما مشكل . اما ذلك الحديث فلنصرحه بنقصان الاجر بسبب الغنيمة وأما هذا فلان او تقتضى احد الشيين لاجموعهما فيقتضى اما حصول الاجر في هذا او الغنيمة وقد قالوا فلا يصح ان تنقص الغنيمة من اجر اهل بدر وكانوا افضل المجاهدين وافضلهم غنيمة ويؤكد هذا التابع فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من بعده على اخذ الغنيمة وعدم التوقف عنها . وقد اختلفوا بسبب هذا الاشكال في الجواب . فمنهم من جنح الى الطعن في ذلك الحديث وقال انه لا يصح ويزعم ان بعض رواه ليس بمشهور (١) وهذا ضعيف لان مسلما اخرج في كتابه . ومنهم من قال ان هذا الذي تعجل من أجره بالغنيمة في غنيمة أخذت على غير وجهها قال بعضهم وهذا بعيد لا يحتمله الحديث (٢) وقيل ان هذا الحديث اعني الذي نحن في شرحه شرطيه ما يقتضي الاخلاص والحديث الذي في نقصان الاجر يحمل على من قصد مع الجهاد طلب المغنم فهذا شرك بما يجوز له التشريك فيه وانقسمت نيته بين الوجهين فنقص اجره والاول اخلاص فأكمل اجره . قال القاضى واوجه من هذا عندى في استعمال الحديثين على وجهها ايضا ان نقص اجر الغانم بما فتح الله عز وجل عليه من الدنيا وحساب ذلك بتمتعه عليه من الدنيا وذهاب شظف عيشه (٣) في غزوه وبعده اذا قوبل بمن اخفق ولم يصب منها شيئا

(١) وهو حميد بن هاني ذكره في الفتح وقد وثقه النسائي ويونس وغيرهما :

(٢) أقول لو كان الامر كما قاله هذا القائل لم يبق لهم ثلث الاجر ولا أقل منه

٣ الشظف محرقة وكسحاب الضيق والشدة ويبس العيش

وبقي على شظف عيشه والصبر على حاله في غزوة وجد اجر هذا ابداً في ذلك وافيًا مطردًا بخلاف الاول ومثله قوله في الحديث الآخر «فمن مات ولم يأكل من اجره شيئاً ومن مات ايئمت له ثمرة فهو يهدبها» (١) وأقول اما التعارض بين الحديثين فقد نبهنا على بده فاما الاشكال في الحديث الثاني فظاهر جار على القياس لان الاجور قد تتفاوت بحسب زيادة المشقات لا سيما ما كان اجره بحسب مشقته اذ لمشقته دخل في الاجر وانما يشكل عليه العمل المتصل باخذ الغنائم فلمل هذا من باب تقديم بعض المصالح الجزئية على بعض فان ذلك الزمان كان الاسلام فيه غريباً اعنى ابتداء زمن النبوة وكان أخذ الغنائم عوناً على علو الدين وقوة المسلمين وضمفاء المهاجرين وهذه مصلحة عظيمة قد يفتر لها بعض النقص في الاجر من حيث هو . وأما ما قيل في اهل بدر فقد يفهم منه ان النقصان بالنسبة الى الغير وليس ينبغي ان يكون كذلك بل ينبغي ان يكون التقابل بين كمال أجر الغازي نفسه اذا لم يفهم واجره اذا غم فيقتضى هذا ان يكون حالهم عند عدم الغنيمة افضل من حالهم عند وجودها لا من حال غيرهم (٢) وان كان افضل من حال

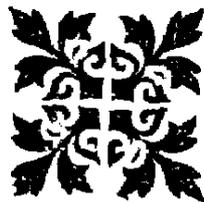
(١) هذب الشيء اذا قطعه وهذب الثمرة اذا اجتمها يهدبها هدباً ومنه أيئمت له ثمرة فهو يهدبها أي يجنيها : أقول كانه يريد دفع ما يقال أفضل الاعمال كلمة التوحيد وهي خفية المشقة أو عديتها :

(٢) قال في العدة أقول أرهم أنفسهم فلا يقال ان أجر من شهد منهم أحداً التي لا غنيمة فيها أفضل من الذين حصل لهم شهود بدر لان فيه غنيمة مثال ذلك أن يقال لو فرض أجر البدرى ستمائة وأجر الأحدي مثلاً بغير غنيمة مائة فاذا نسبنا ذلك باعتبار حديث عبد الله ابن عمرو كان البدرى لكونه أخذ الغنيمة مائتان وهو ثلث الست المائة فيكون أكثر أجر من الأحدي وانما امتاز أهل بدر بذلك لكونها أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان مبدأ اشتهار الاسلام وقوة أهله وظهور موكبه فكان لمن شهدها مثل أجر المغازي بعدما جيماً فصارت لا يوازيها شيء في الفضل :



غيرهم قطعا (١) فمن وجه آخر لكن لا بد مع هذا من اعتبار المعارض الذي ذكرناه
فله مع اعتباره لا يكون ناقصا ويستثنى حالهم من العموم الذي في الحديث الثاني
أو حال من يقاربهم في المعنى . وأما هذا الحديث الذي نحن فيه فاشكاله من كلمة
أو أقوى من ذلك الحديث فإنه قد يشعر بان الحاصل إما أجر أو غنيمة فيقتضى
انه اذا حصلت الغنيمة يكتفى بها له وليس كذلك . وقيل في الجواب عن هذا
بان او بمعنى الواو وكان التقدير باجر وغنيمة وهذا مع ما فيه من الضعف من جهة
العربية فيه اشكال من حيث انه اذا كان المعنى يقتضي اجتماع الامرين كان ذلك
داخلا في الضمان فيقتضى انه لا بد من حصول امرين لهذا المجاهد مع رجوعه
وقد لا يتفق ذلك بان يتلف ما حصل في الرجوع من الغنيمة اللهم الا ان يتجاوز
في لفظة الرجوع الى الاهل او يجعل المية في مطلق الحصول . ومنهم من اجاب
بان التقدير او ارجعه الى اهله مع ما نال من اجر وحده أو غنيمة وأجر فحذف
الاجر من الثاني وهذا لا بأس به لان المقابلة انما تشكل اذا كانت بين مطلق
الاجر وبين الغنيمة مع الاجر أما مع الاجر المقيّد بانفراده عن الغنيمة فلا *

(١) يقال فماذا يكون الحال في غير الصدر الاول ان قلنا انه ينقص من أجرهم ان أخذوا
الغنيمة أيحل الحكم في أهل زمن النبوة وغيرهم ولم يبق للفضيل به معنى وان قلنا لا ينقص
من أجر المستأجر شيئا وان عمم لزم مزية المتأخرين على أهل زمن النبوة وذلك باطل
بالاجماع اهـ بما مش الاصل قد يخار الشق الاول والتفاوت بالنقل غير لازم من تفاوت الاجر
لان المراد تفاوت اجر الغازي نفسه بين أن يفتم وبين أن لا يفتم لا بينه وبين غيره :



٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمَةُ يَدُمِي اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيْحُ رِيْحُ الْمَسْكِ (١)

الكلم الجرح وبجبهه يوم القيامة مع سيلان الجرح فيه أمران . أحدهما الشهادة على ظالمه بالقتل . والثاني اظهار شرفه لاهل المشهد والموقف بما فيه من رائحة المسك الشاهد بالطيب وقد ذكرنا في الاستنباط من هذا الحديث اشياء متكلفة غير صائرة على التحقيق . منها ان المراعي في الماء تغير لونه دون تغير رائحته لان النبي صلى الله عليه وسلم سمي هذا الخارج من جرح الشهيد دما وان كان ريحه ريح المسك ولم يكن مسكا فغلب الاسم للونه على رائحته وكذلك الماء ما لم يتغير لونه لم يلتفت الى تغير رائحته . ومنها ما ترجم البخاري فيما يقع من النجاسات في الماء والسمن (٢) قال القاضي ويحتمل ان حجته فيه الرخصة في الرائحة كما تقدم أو التخليط بعكس الاستدلال الاول بان الدم لما انتقل بطيب رائحته من حكم النجاسة الى الطهارة ومن حكم القذارة الى التطيب بتغير رائحته وحكم له بحكم المسك والطيب للشهيد فكذلك الماء ينتقل الى العكس بحيث الرائحة وتغير احد اوصافه من الطهارة الى النجاسة . ومنها ما قال القاضي ويحتج بهذا الحديث ابو حنيفة رحمه الله في جواز استعمال الماء المضاف المتغيرة اوصافه باطلاق اسم الماء عليه كما الطلق على هذا اسم الدم وان تغيرت اوصافه الى الطيب قال وحجته بذلك ضعيفة . واقول الكل ضعيف *

(١) خرجه البخاري في مواضع متعددة والناظر مختلفه هذا أحدها : ومسلم : وقوله « يكلم » على صيغة المجهول أى يجرح . وقوله « في سبيل الله » يريد به الجهاد كما جاء مصرحا به في بعض روايات البخاري : ويدخل فيه كل من جرح في ذات الله وكل ما دافع فيه المرء بحق فأصيب فهو مجاهد : وقوله « وكلمه » هو بفتح الكاف وسكون اللام أى جرحه : وقوله « يدمي » بفتح الياء وسكون الدال وفتح الميم من باب علم أى يسيل منه الدم : وقوله « اللون لون الدم » تشبيه بليغ بحذف اداة التشبيه : وكذلك قوله والريح ريح المسك : والله أعلم

(٢) قال البخاري في صحيحه باب ما يقع من النجاسات في الماء والسمن ثم ذكر حديث الباب قال الحافظ في الفتح قال الاسماعيلي هذا الحديث لا يدخل في طهارة الدم ولا بنجاسته

٥ -  عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٦ --  عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي حَدِيثٍ مَضَى ^(١) ٧ -  عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَذَكَرَ قِصَّةَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ قَالَ ثَلَاثًا ^(٢) 

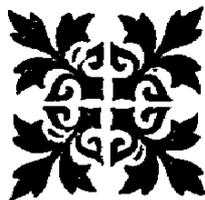
أما ورد في لفظ المظنون في سبيل الله وأجيب بأن مراد المصنف في إيراد تعويذة مذهبه في أن الماء لا ينجس بمجرد الملائقة ما لم يتغير وقال ابن رشد مراد البخاري أن انتقال الدم إلى الرائحة الطيبة هو الذي نقله من حالة الدم إلى حالة المدح فحصل من هذا تغليب وصف واحد وهو الرائحة على وصفين وهما الطعم واللون فيستنبط منه أنه متى تغير أحد الأوصاف الثلاثة بصلاح أو فساد يتبته الوصفان الباقيان:

(١) وهو الحديث الثاني من كتاب الجهاد

(٢) أخرجه البخاري مطرلاً وهو ما أشار إليه المصنف بقوله وذكر قصة: وانفذته عن أبي قتادة « قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة قال فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فاستدرت إليه حتى أتيتها من ورائه فضربته على جبل عاتقه وأقبل على فضمي ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسانى فلحقت عمر بن الخطاب فقال ما لنا من أمر الله ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من قتل قتيلاً له عليه بيينة فله سلبه قال فقلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال مثل ذلك قال فقلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال ذلك الثالثة فقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالك يا أبا قتادة فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله سبب ذلك القتل عندني فارضه من حقه فقال أبو بكر

الشافعي رحمه الله يرى استحقاق القاتل للسلب حكما شرعيا باوصاف مذكورة في كتب الفقه . ومالك وغيره رحمه الله يرى انه لا يستحقه بالشرع وانما يستحقه بصرف الامام اليه نظرا . وهذا يتعلق بقاعدة وهو ان تصرفات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في امثال هذا اذا تردت بين التشريع والحكم الذي يتصرف به ولاية الامر هل يحمل على التشريع او على اثنائي والاغلب حمله على التشريع الا ان مذهب مالك رحمه الله في هذه المسئلة فيه قولان . قوله عليه السلام من « قتل قتيلًا فله سلبه » يحتمل ما ذكرناه من الامرين أعني التشريع العام واعطاء القاتلين في ذلك الوقت السلب، تنفيلا فان حمل على اثنائي فظاهر وان ظهر حمله على الاغلب وهو التشريع العام فقد جاءت أمور في أحاديث ترجح الخروج عن هذا الظاهر مثل قوله عليه السلام بعد ما امر أن يعطى السلب قاتلا فقابل هذا القاتل خالد بن الوليد بكلام قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد « لا تعطاه يا خالد » فلو كان مستحقا له باصل الشريعة لم يمنعه منه بسبب كلامه لخالد فدل على انه كان على وجه النظار فلما كلم خالد بما يؤذيه استحق العقوبة بمنه نظرا الى غير ذلك من الدلائل *

الصدىق لاهما امة اذا لا يمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه فقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدق واعطاه اياه فأعطاني قال فبعت الدرع فاجتعت به مخرفا في ابي سلمة فانه لا اول مال تأثنته في الاسلام » ورواه مسلم والامام أحمد بن حنبل : وقوله « حنين » بضم الحاء المهمله على صيغة التصغير يذكر ويؤثنت مكان قريب من مكة : وقوله « فله سلبه » السلب بفتح المهملة واللام بعدها موحدة هو ما يوجد مع المحارب من ملبوس وغيره عند الجمهور : وعن احمد لا تدخل الدابة . وعن الشافعي يختص باداة الحرب : والله أعلم



٨ - عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَجَاسَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ بِتَحَدُّثٍ ثُمَّ انْفَتَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اظْلُبُوهُ وَأَقْتُلُوهُ فَفَتَلْتُهُ فَنَفَلَنِي سَلْبَهُ : وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَ مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ فَقَالُوا ابْنُ الْأَكْوَعِ فَقَالَ لَهُ سَلْبَهُ أَجْمَعُ ﷺ (١)

فيه تعلق بمسئلة الجاسوس الحربى وجواز قتله ومن يشبهه ممن لا أمان له. وأما كلامهم ههنا على الجاسوس الذمى والمسلم فلا تعلق للحديث به (٢) وفيه تعلق أيضا بمسئلة السلب وقد يتمسك به من يراه غير واجب باصل الشرع بل بتنفيل الامام لقوله « فنفلني » وفي هذا ضعف ما (٣) وفيه دليل اذا قلنا بان السلب للقائل انه يستحق جميعه نعم انما يدل على ما يسمى سلبا: والفقهاء ذكروا صوراً فيما يستحقه القائل وترددوا فى بعضها فان كان اسم السلب منطلقا على كل ما معه فقد يستدل به فيما اختلف فيه من بعض الصور .

(١) خرجه البخارى بهذا اللفظ وهو من افراذه : وأبو داود والامام احمد بن حنبل وخرجه مسلم بألفاظ غير هذه وذكر فيه قصة ولم يذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الأمر بطلبه : وقوله « عين » أى جاسوس وسمى الجاسوس عينا لان عمله يمينه أو لشدة اهتمامه بالريبة واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عينا : والله أعلم

(٢) أما الجاسوس الكافر الحربى فقد نقل الاجماع على قتله غير واحد من العلماء والحديث يشهد له : وأما الجاسوس المهاد والذمى فقال مالك والاوزاعى يصير ناقضا للمهاد فان رأى استرقاقه أرقه ويجوز قتله : قال النووي فى شرح مسلم وقال جواهر العلماء لا ينتقض عهده بذلك قال أصحابنا الا أن يكون قد شرط عليه انتقاض المهاد بذلك : وأما الجاسوس المسلم فقال الشافعى والاوزاعى وأبو حنيفة وبعض المالكية وجواهر العلماء رحمهم الله تعالى يوزره الامام بما يرى من ضرب وحبس ونحوها ولا يجوز قتله : وقال مالك رحمه الله تعالى : يجتهد فيه الامام ولم يفسر الاجتهاد : وقال القاضى عياض رحمه الله قال كبار أصحابه يقتل قال واختلفوا فى تركه بالتبوية قال ابن الماجشون ان عرف بذلك قتل والا عزر : والله أعلم :

(٣) لاحتمال أنه أراد بنفلنى أعطانى ما أستحقه ولان الاستدلال بالفعل لا ينهض بمجرد

٩ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُمَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى نَجْدٍ فَخَرَجْتُ فِيهَا فَأَصَابْنَا إِبِلًا وَغَنَمًا فَبَلَّغْتُ سُهْمَانًا اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا وَنَفَلْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِيرًا بَعِيرًا^(١)

فيه دليل على بعث السرايا في الجهاد . وقد يستدل به على ان المنقطع منها عن جيش الامام ينفرد بما يغممه من حيث انه يقتضى ان السهمان كان لهم ولا يقتضى ان غيرهم يشاركهم وانما قالوا بمشاركة الجيش لهم اذا كانوا قريبا منه يلحقهم غوثه ان احتاجوا . وقوله « ونفلنا » النفل في الاصل هو العطية غير اللازمة وذكر بعض أهل اللغة ان الاقبال الغنائم وأطلقه الفقهاء على ما يجعله الامام لبعض الغزاة لاجل الترغيب وتحصيل مصلحة أو عوض عنها . واختلفت مذاهبهم في محله فمنهم من جعله من رأس الغنيمة ومنهم من جعله من الخمس وهو مذهب مالك رحمه الله واستحبه بعضهم من خمس الخمس . والذي يقرب من لفظ الحديث ان

(١) خرجه البخارى : ومسلم وأبو داود والامام احمد بن حنبل : وقوله « سرية » هي طائفة من الجيش يبلغ أعضاها أربعمائة تمت الى العدو : وقوله « الى نجد » هو بفتح النون وسكون الجيم اسم خاص لمادون الحجاز هما يلى العراق : وقوله « فبلغت سهمانا » هو بضم السين المهملة وسكون الهاء جمع سهم بفتح السين المهملة وسكون الهاء أى انصباؤنا : والمراد أنه بلغ نصيب كل واحد هذا القدر وتوهم بعضهم أن ذلك جميع الانصباة قال النووى وهو غلط وبينه في شرح مسلم : والله أعلم :

(٢) أما مشروعية التنفيل فجمع عليه كما حكاه غير واحد من العلماء والخلاف انما هو في محله : قال النووى واختلفوا في محل النفل هل هو من أصل الغنيمة أو من أربعة أخماسها أو من خمس الخمس وهي ثلاثة أحوال للشافعى وبكل منها قال جماعة من العلماء والاصح عندنا أنه من خمس الخمس وبه قال ابن المسيب ومالك وأبو حنيفة رضى الله عنهم وآخرون : وممن

١٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِذَا جُمِعَ اللَّهُ الْأَوْلِيْنَ وَالْآخِرِينَ بُرِفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ ^(١)

هذا التنفيل كان من الخمس لانه أضاف الاثني عشر الى سهماتهم فقد يقال انه اشارة الى ما يقرب لهم استحقاقه وهو الاربعة الاخماس الموزعة فيبقى النفل من الخمس واللفظ محتمل لغير ذلك احتمالا قريبا وان استبعد بعضهم ان يكون هذا التنفيل الا من الخمس من جهة اللفظ فليس بالواضح الكثير فقد قيل انه تبين كون هذا النفل من الخمس من مواضع اخر *

فيه تعظيم الغدر وذلك في الحروب كل اغتيال ممنوع شرعا اما تقدم امان او ما يشبهه او لوجوب تقدم الدعوة حيث تجب أو يقال بوجوبها . وقد يراد بهذا الغدر ما هو اهم من أمر الحروب وهو ظاهر اللفظ وان كان المشهور بين جماعة من المصنفين وضعه في معنى الحروب . وقد عوقب الغادر بالفضيحة العظمى وقد يكون ذلك من باب مقابلة الذنب بما يناسب ضده في العقوبة فان الغادر اخفى جهة غدره ومكره فوَقِبَ بنقيضه وهو شهرته على رؤس الاشهاد . وفي هذا اللفظ المروى ههنا ما يدل على شهرة الناس والتعريف بهم في القيامة بالنسبة الى آباءهم خلاف ما حكى ان الناس يدعون في القيامة بالنسبة الى أمهاتهم *

قال انه من أصل النسيمة الحسن البصرى والاوزاعى واحمد وأبو ثور وآخرون : وأجاز النخعي أن تنفل السرية جميع ماغنمت دون باقى الجيش وهو خلاف ما قاله العلماء كافة : والتنفيل انما يكون لمن صنع صنعا جميلا في الحرب انفرد به : والله أعلم :

(١) خرجه البخارى في غير موضع : ومسلم وقوله « لكل غادر لواء » الغادر هو الذى يواعد على أمر ولا يفى به يقال غدر يندر بكسر الدال في المضارع : واللواء العلم والراية والمعنى أن لكل غادر علامة يشتهر بها في الناس لان موضع اللواء شهرة مكان الرئيس : وتأنيث اسم الاشارة باعتبار معنى العلامة أو مراعاة للفظ الخبر والله أعلم

١١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً
وَجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ
قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ^(١)

١٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَبْدَ
الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ اشْتَكَيَا الْقَمَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَزَاةٍ لَهُمَا فَرَخَّصَ لَهُمَا فِي قَيْصِ الْحَرِيرِ فَرَأَيْتَهُ عَلَيْهِمَا ^(٢)

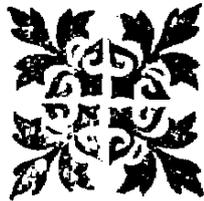
هذا حكم مشهور متفق عليه في من لا يقاتل . ويحمل هذا الحديث على ذلك
لغلبة عدم القتل على النساء والصبيان ولعل سر هذا الحكم ان الاصل عدم اتلاف
النفوس وانما ابيح منه ما يقتضيه رفع المفسدة ومن لا يقاتل ولا يتأهل للقتال
في العادة ليس في احداث الضرر كالمقاتلين فرجع الى الاصل فيهم وهو المنع هذا
مع ما في نفوس النساء والصبيان من الميل وعدم التثبيت الشديد بما يكونون
عليه كثيرا أو غالباً فرفع عنهم القتل لعدم مفسدة المقاتلة في الحال الحاضر ورجاء
هدايتهم عند بقائهم .

أجازوا للمحارب لبس الدباج الذي لا يقوم غيره مقامه في دفع السلاح .
وهذا الحديث يدل على جوازه لاجل هذه المصلحة المذكورة فيه . ولعله تعين
لذلك في دفعهما في ذلك الوقت . وقد سماه الراوي رخصة لاجل الاباحة مع قيام
دليل الحصر .

(١) خرجه البخاري بالفاظ مختلفة هذا أحدها : ومسلم وأبو داود والترمذي وابن
ماجه والامام احمد بن حنبل :

(٢) خرجه البخاري : ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والامام احمد
ابن حنبل : والحديث يدل على جواز لبس الحرير لعذر القمل وكذلك ورد جوازه للحكوهي
الجرب وبه قال الجمهور وخالف في ذلك مالك والحديث حجة عليه : قال في شرح المتقى واذا

من المسلمين و يكون اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يخرج منه منها لغير
اهله و نفسه تبرعا منه * والثاني أن يكون ذلك مما يشترك فيه هو و غيره صلى الله
عليه وسلم و يكون ما يخرج منه منها لغيره من تعيين المصرف و اخراج المستحق .
وكذلك ما يأخذه صلى الله عليه وسلم لاهله من باب أخذ النصيب المستحق من
المال المشترك في المصرف ولا يمنع من ذلك قوله (مما آفاه الله على رسوله من اهل
القرى) لان هذه اللفظة قد وردت مع الاشتراك قال الله تعالى (وما آفاه الله على
رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى) الآية . فاطلق عليه كونه آفاه
على رسوله مع الاشتراك في المصرف . وفي الحديث جواز الادخار للاهل قوت
سنة وفي لفظه ما يوجه الجمع بينه وبين الحديث الآخر كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا يدخر شيئا فغدي يحمل هذا على الادخار لنفسه . والحديث الذي نحن
في شرحه على الادخار لاهله على انه لا يكاد يحصل شك في ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان مشاركا لاهله فيما يدخره من القوت ولكن يكون المعنى انهم المقصودون
بالادخار الذي اقتضاه حالهم حتى لو لم يكونوا لم يدخر . وفيه دليل على تقديم مصلحة
الكراع والسلاح على غيرها لاسيما في مثل ذلك الزمان . والمتكلمون على اسان
الطريقة قد يجهلون او بعضهم ما زاد على السنة خارجا عن طريقة التوكل .



١٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
 أَجْرِي النَّبِيِّ ﷺ مَا ضُمُّرٌ مِنَ الْخَيْلِ مِنَ الْخَفِيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ
 وَأَجْرِي مَا لَمْ يُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ ابْنُ
 عُمرٍ وَكُنْتُ فِيمَنْ أَجْرِي : قَالَ سُفْيَانُ مِنَ الْخَفِيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ
 الْوَدَاعِ خَمْسَةٌ أَمْيَالٍ أَوْ سِتَّةٌ وَمِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي
 زُرَيْقٍ مِيلٌ ^(١)

هذا الحديث اصل في جواز المسابقة بالخيال وبيان الغاية التي يسابق اليها .
 وفيه اطلاق الفعل على الامر به والمسوغ له . واما المسابقة على غير الخيل والشروط
 التي اشترطت في هذا المقدم فليست من متعلقات هذا الحديث : وكذلك ايضا
 لا يدل هذا الحديث على امر العوض واحكامه فانه لم يصرح فيه به . والاضمار
 ضد التسمين وهو تدريج لها في اقواتها الى ان يحصل لها الضمير . والخفياء بفتح
 الحاء المهملة وسكون الفاء ثم ياء آخر الحروف والفاء ممدودة . وثنية الوداع
 مكانان معلومان . وزريق بالزاي المعجمة قبل الراء المهملة .

(١) خرجه البخاري : ومسلم ورواه أصحاب السنن بالفاظ مختلفة : والحديث لم يتعرض
 فيه للاجمل كما قاله السارح : وقد روى أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والامام احمد
 ابن حنبل عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاسبق الا في خف
 أو نصل أو حافر » وهو يدل على جواز الابق على جمل لان قوله « لاسبق » هو بفتححتين
 ما يجعل للسابق على سبقه من جمل : فان كان الجمل من غير المتسابقين كالامام يجعله للسابق
 فهو جائز بلا خلاف وان كان من احد المتسابقين جاز ذلك عند الجمهور كما حكاه الحافظ في
 النتج : وقد وقع الاتفاق على جواز المسابقة بغير عوض لـكن قصرها مالك رحمه الله تعالى
 والشافعي على الحف والحافر والنصل : وخصه ببعض العلماء بالخيال واجازة عطاء في كل شيء :
 وقد حكى عن أبي حنيفة ان عقد المسابقة على مال باطل . وحكى عن مالك ايضا انه لا يجوز
 ان يكون العوض من غير الامام : والله أعلم

١٥ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
 عَرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فَلَمْ يُجِزْنِي
 فِي الْمَقَاتِلَةِ وَعَرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ
 فَأَجَازَنِي (١)

اختلف الناس في المدة التي اذا بلغها الانسان ولم يحتمل حكم بلوغه فقيل سبع
 عشرة وقيل ثمان عشرة وقيل خمس عشرة وهذا مذهب الشافعي وقد استدل له
 بهذا الحديث وهو اجازة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر في القتال بخمس عشرة سنة
 وعدم اجازته له فيما دونها ونقل عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه لما بلغه
 هذا الحديث جملة حدا فكان يجمل من دون الخمس عشرة في الذرية . والمخالفة
 لهذا الحديث اعتذروا عنه بان الاجازة في القتال حكم منوط باطاقته والقدرة
 عليه وان اجازة النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر في الخمس عشرة لانه رآه مطيقا
 للقتال ولم يكن مطيقا له قبلها لانه اراد الحكم على البلوغ وعدمه والله تعالى اعلم *

(١) خرجه البخاري بلفظ قريب من هذا : ومسلم وأبو داود والنسائي والامام أحمد
 ابن حنبل : وقوله « يوم أحد » يعني بذلك غزوة أحد وكانت في شوال سنة ثلاث من
 الهجرة : وغزوة الخندق التي هي الاحزاب كانت في شوال وقيل في جمادى الآخرة :
 وقيل في ذي القعدة سنة خمس : ومقتضى هذا أن يكون ابن عمر في غزوة الخندق ابن ستة
 عشرة سنة وهذا الحديث مصرح بأنه ابن خمس عشرة سنة فاما أن يكون الخندق في السنة
 الرابعة من الهجرة فيكون ذلك صحيحاً أو يكون ذلك في السنة الخامسة كما ذكره أصحاب
 المغازي وغيرهم فيحتمل أن ابن عمر كان يوم أحد ابن ثلاث عشرة سنة وأشهر فمسير عنها
 بأربع عشرة سنة وكان يوم الخندق ابن خمسة عشرة سنة والله أعلم

١٦ - وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَسَمَ فِي النَّفْلِ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ
وَلِلرَّجُلِ سَهْمًا (١)

النفل بتحرك النون والفاء معا يطلق ويراد به الغنيمة وعليه حمل قوله تعالى
(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) و يطلق على ما ينقله الامام لسرية
ولبعض الغزاة خارجا عن السهمان المقسومة امامن اصل الغنيمة او من الخمس على
اختلاف بين الناس في ذلك . ومنه حديث نافع عن ابن عمر في سرية نجد « وان
سهمانهم كانت اثني عشر واحد عشر بغيرا ونقلوا بغيرا بغيرا » . ومذهب مالك
والشافعي رحمهما الله ان للفارس ثلاثة أسهم . ومذهب أبي حنيفة ان للفارس
سهمين . وهذا الحديث الذي ذكره المصنف متعرض للتأويل من وجهين *
أحدهما ان يحمل النفل على المعنى الذي ذكرناه فيكون المعطي زيادة على السهمان
خارجا عنها . والثاني ان يكون اللام في قوله « للفارس سهمين » اللام التي للتعليل
لا اللام التي للملك او الاختصاص اي اعطى الرجل سهمين لاجل فرسه اي
لاجل كونه ذا فرس والرجل سهما مطلقا . وقد أجيب عن هذا ببيان المراد في
رواية أخرى صحيحة وهي رواية أبي معاوية عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر « ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهما له وسهمين
لفرسه » . فقوله أسهم استدل به على انه ليس بخارج عن السهمين . وقوله ثلاثة أسهم
صريح في العدد المخصوص وهذا الحديث الذي ذكرناه من رواية أبي معاوية
عن عبيد الله صحيح الاسناد الا انه قد اختلف فيه على عبيد الله بن عمر ففي رواية
بعضهم عنه للفارس سهمين وللرجل سهما . وقيل انه وهم فيه أي هذا الراوي
وهذا الحديث اعنى رواية أبي معاوية وما في معناها له عاضد من غيره ومعارض
لا يساويه في الاسناد . أما العاضد فرواية المسعودي حدثني ابو عمرة عن أبيه قال
أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة اربعة نفر ومنا فرس فاعطى كل انسان منا

(١) خرجه البخاري ومسلم والامام أحمد بن حنبل

سهما واعطى للفرس سهمين وهذه رواية عبيد الله بن يزيد عن المسعودي عن أبي داود . وعنده من رواية أبيه بن خالد عن المسعودي عن ابن خلف عن أبي عمرة عن ابن عمر قال ابو داود بمعناه الا انه قال ثلاثة نفر زاد وكان للفرس ثلاثة أسهم : وهذا اختلاف في الاسناد وأما المعارض فمعه ما روي عبد الله بن عمر وهو أخو عبيد الله الذي قدمنا ذكره عن نافع عن ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما » قال الشافعي وليس يشك أحد من أهل العلم في تقدمه عبيد الله بن عمر على أخيه في الحفظ وقال في القديم فانه سمع نافعا يقول للفرس سهمين وللراجل سهما فقال للفرس سهمين وللراجل سهما قالت وعبيد الله وعبد الله هذان هما ابنا عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب . وما ذكره الشافعي رحمه الله من تقدمه عبيد الله بن عمر على أخيه عند أهل العلم فهو كذلك ولكن في حديث مجمع بن جارية ما يعضده ويوافقه وهو حديث رواه أبو داود من حديث مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الانصاري قال سمعت أبا يعقوب بن مجمع يذكر عن عمر بن عبد الرحمن ابن يزيد الانصاري عن عمه مجمع بن جارية الانصاري وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال « شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما للناس قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نزحف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم (١) فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم (انا فتحنا لك فتحا مبينا) فقال رجل يا رسول الله افتح هو قال نعم والذي نفس محمد بيده انه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما وكان الجيش الفاء وخمس مائة فيهم ثلاث مائة فارس فاعطى للفرس سهمين وأعطى للراجل سهما » رواه أبو داود عن محمد بن عيسى عن مجمع وهذا يوافق رواية عبيد الله بن عمر في قسم خيبر

(١) بين الحرمين على مرحلتين من مكة

١٧ - ﷺ وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُنْقَلُ بَعْضَ مَنْ
يَبْعَثُ مِنَ السَّرَايَا لَأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً سِوَى قَسَمِ عَامَّةِ الْجَيْشِ (١)

الا أن الشافعي قال في مجمع بن يعقوب انه شيخ لا يعرف قال فاخذنا في ذلك
بحديث عبيدالله ولم نرو له خبرا مثله يعارضه ولا يجوز رد خبر الابن خبر مثله والله أعلم *

هذا هو التنفيل بالمعنى الثاني الذى ذكرناه في معنى النفل وهو أن يعطى
الامام سرية أو لبعض أهل الجيش خارجا عن السهمان والحديث مصرح بانه
خارج عن قسم عامة الجيش الا انه ليس مبينا لكونه من رأس الغنيمة أو من
الخمس فان اللفظ محتمل لها جميعا والناس مختلفون في ذلك. ففى رواية مالك عن
أبي الزناد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان الناس يعطون النفل من الخمس
وهذا مرسل : وروى محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سرية الى نجد فخرجت معها فاصبنا نعا كثيرا فنقلنا أميرنا
بعيرا بعيرا لكل انسان ثم قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم بيننا
غنيمتنا فاصاب كل رجل منا اثني عشر بعيرا بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالذى أعطانا أميرنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل رجل
منا ثلاثة عشر بعيرا بنقله وهذا يدل على أن التنفيل من رأس الغنيمة وروى
زياد بن حارثة عن حبيب بن مسleme قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم نقل
الربع في البداية والثالث في الرجعة (٢) وهذا أيضا يدل على أن التنفيل من أصل
الغنيمة ظاهر امع احتمال لغيره. وروى في حديث حبيب هذا ان رسول الله صلى الله عليه

(١) خرجه البخارى ومسلم والامام أحمد بن حنبل

(٢) اخرجه أحمد وابو داود عن حبيب بن مسleme كان يقال له حبيب الروم لكثرة
مجاهدته اياهم وكان من عظماء الصحابة وقد روى نحو حديثه هذا عن عبادة بن الصامت
اخرجه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والبداءة قال في النهاية أراد بالبداءة الفوز وبالرجعة
القول : والله أعلم :

وسلم « كان ينفل الربع بعد الخمس والثالث بعد الخمس اذا نفل » وهذا يحتمل أن يكون المراد منه ينفل بعد اخراج الخمس أي ينفله من أربعة أخماس ما ياتون به وهذا ظاهر وترجم ابو داود عليه باب فيمن قال الخمس قبل النفل وابدى بعضهم فيه احتمالا آخر وهو ان يكون قوله بعد الخمس أي بعد ان يفرد الخمس فعلى هذا يبقى محتملا لان ينفل ذلك من الخمس او من غير الخمس فيحمله على ان ينفل من الخمس احتمالا : وحديث ابن اسحق صريح او كالصريح : وللحديث تعلق بمسائل الاخلاص في الاعمال وما يضر من المقاصد الداخلة فيها وما لا يضر وهو موضع دقيق المأخذ. ووجه تعلقه به ان التنفيل للترغيب في زيادة العمل والمخاطرة والمجاهدة وفي ذلك مداخلة لغرض الجهاد لله تعالى الا ان ذلك لم يضرهم قطما لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لهم ففى ذلك دلالة لاشك فيها على ان بعض المقاصد الخارجة عن محض التعبد لا يقدر في الاخلاص وانما الاشكال في ضبط قانونها وتمييز ما يضر مداخلته من المقاصد ويقضى الشركة المنافية الاخلاص وما لا يقتضيه ويكون تبعا لا أثر له ويتفرع عنه غير مأمسئلة . وفي الحديث دلالة على ان لنظر الامام مدخلا في المصالح المتعلقة بالمال اصلا وتقديرا على حسب المصلحة على ما اقتضاه حديث حبيب بن مسلمة في الربع والثالث فان الرجمة لما كانت اشق على الراجمين واشد لخوفهم لان العدو قد كان ندر بهم لقرهم وهو على يقظة من امرهم اتضى زيادة التنفيل والبداءة لما لم يكن فيه هذا المعنى اقتضى نقيضه ونظر الامام متقيد بالمصلحة لاعلى ان يكون بحسب التشبهى وحيث يقال ان النظر للامام انما يعنى هذا اعني ان يفعل ما تقتضيه المصلحة الا ان يفعل على حسب التشبهى والله اعلم

١٨ - عَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ^(١)

حمل السلاح يجوز ان يراد به ما يضاد وضعه ويكون ذلك كناية عن القتال به وان يكون حمله ليراد به القتال ودل على ذلك قرينة قوله عليه السلام «علينا» . ويحتمل ان يراد به ما هو اقوى من هذا وهو الحمل به للضرب اى في حالة القتال والقصد بالسيف للضرب به وعلى كل حال فهو دليل على تحريم قتال المسلمين وتفليظ الامر فيه : وقوله «فليس منا» قد يقتضي ظاهره الخروج عن المسلمين لانه اذا حمل علينا على ان المراد به المسلمون كان قوله «فليس منا» كذلك : وقد ورد مثل هذا فاحتاجوا الى تاويله كقوله عليه السلام «من غشنا فليس منا» . (٢) وقيل فيه ليس مثلنا اوليس على طريقتنا او ما يشبه ذلك فان كان الظاهر كما ذكرناه دل الدليل على عدم الخروج عن الاسلام بذلك اضطررنا الى التاويل .

(١) خرجه البخارى فى غير موضع بهذا اللفظ : ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه .

(٢) تمام الحديث « والمكر والخديعة فى النار » اخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن

مسعود . وعن أبى هريرة « من غش فليس منا » اخرجه الترمذى والله أعلم :



١٩ - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَى ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَاتَلَ لِتَسْكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَمَلِيَّةُ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (١)

في الحديث داليل على وجوب الاخلاص في الجهاد وتصریح بان القتال بالشجاعة والحمية والرياء خارج عن ذلك : فاما الرياء فهو ضد الاخلاص بذاته لاستحالة اجتماعهما اعنى ان يكون القتال لاجل الله تعالى ويكون بعينه لاجل للناس . واما القتال للشجاعة فيحتمل وجورها . احدها ان يكون التعميل داخلا في قصد المقاتل اى لاجل اظهار الشجاعة فيكون فيه حذف مضاف وهذا لا شك في منافاته للاخلاص . وثانيها ان يكون ذلك تعميلا لقتاله من غير دخول له في القصد بالقتال كما يقال اعطي لسكرمه ومنع لبخله أو آذى لسوء خلقه وهذا بمجرد من حيث هو هو لا يجوز ان يكون مرادا بالسؤال ولا للذم فان الشجاع المقاتل في سبيل الله انما فعل ما فعل لانه شجاع غير انه ليس يقصد به اظهار الشجاعة ولا دخل لقصد اظهار الشجاعة في التعميل . وثالثها ان يكون قولنا قاتل للشجاعة انه يقاتل لسكونه شجاعا فقط وهذا غير المعنى الذى قبله لان الاحوال ثلاثة حال يقصد بها اظهار الشجاعة . وحال يقصد اعلاء كلمة الله تعالى . وحال يقاتل فيها لانه شجاع الا انه لا يقصد اعلاء كلمة الله تعالى ولا اظهار الشجاعة عنه وهذا ممكن فان الشجاع الذى دهمه الحرب وكانت طبيعته المسارعة الى القتال يبدأ بالقتال لطبيعته وقد لا يستحضر احد الامرين اعنى انه لغير الله تعالى او لاعلاء كلمة الله تعالى *

(١) خرجه البخارى في غير موضع بالناظ مختلفة هذا أحدها : ومسلم وأبو داود والنسائي

والترمذى وابن ماجه :

وتوضيح الفرق بينهما ايضا ان المعنى الثانى لا يتافيه وجود قصد فانه يقال قاتل لاعلاء كلمة الله تعالى لانه شجاع وقاتل للرياء لانه شجاع فان الجبن مناف للقتال مع كل قصد يعرض . واما المعنى الثالث فانه يتافيه القصد لانه اوجد فيه القتال للشجاعة بقيد التجرد عن غيرها ومفهوم الحديث يقتضى انه في سبيل الله تعالى اذا قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وليست في سبيل الله اذا لم يقاتل لذلك فعلى الوجه الاول تكون فائدته بيان ان القتال لهذه الأغراض مانع وعلى الوجه الاخير تكون فائدته ان القتال لاجل اعلاء كلمة الله تعالى شرط وقد بينا الفرق بين المعنيين وقد ذكرنا ان مفهوم الحديث الاشتراط لکن اذا قلنا بذلك فلا ينبغي ان يضيق فيه بحيث يشترط مقارنته اساعة شروعه في القتال بل يكون الامر اوسع من ذلك ويكتفي بالقصد العام لتوجهه الى القتال وقصد الخروج اليه لاعلاء كلمة الله تعالى . ويشهد لهذا الحديث الصحيح في انه يكتب للجاهد استئنان فرسه وشربها في النهر من غير قصد لذلك لما كان القصد الاول الى الجهاد واقما لم يشترط ان يكون ذلك في الجزئيات ولا يبعد ان يكون بينهما فرق الا ان الاقرب عندنا ما ذكرنا من انه لا يشترط اقتران القصد باول الفعل المخصوص بحد ان يكون القصد صحيحا في الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى دفما للخرج والمشقة فان حالة الفزع حالة دهش وقد يأتى على غفلة فالانزام حضور الخواطر في ذلك الوقت حرج ومشقة *

ثم ان الحديث يدل على ان المجاهد في سبيل الله هو من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا والمجاهد لطلب ثواب الله تعالى والنعم المقيم مجاهد في سبيل الله ويشهد له فعل الصحابي وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قوموا الى جنة عرضها السموات والارض » فالتمى الثمرات التي كن في يده وقاتل حتى قتل : وظاهر ان هذا قاتل لثواب الجنة والشريعة كلها طافحة بان الاعمال لاجل الجنة اعمال صحيحة غير معلولة لان الله تعالى ذكر الجنة وما اعد فيها للعاملين ترغيبا للناس في العمل ومحال ان يرغبهم للعمل للثواب ويكون ذلك معلولا مدخولا اللهم الا ان يدعى ان غير هذا المقام أعلى منه فهذا قد يتسامح فيه واما ان يكون

علة في العمل فلا : فاذا ثبت هذا فان المقاتل لثواب الله والجنة مماثل في سبيل الله تعالى فالواجب ان يقول احد الأمرين اما ان يضاف الى هذا المقصود اعني القتال لاعلاء كلمة الله تعالى ما هو مثله او ما يلزمه كالقتال لثواب الله تعالى .
واما ان يقال المقصود بالكلام وسياقه بيان ان هذه المقاصد متافية للقتال في سبيل الله فان السؤال انما وقع عن القتال لهذه المقاصد وطلب بيان ان هذه في سبيل الله تعالى امر لا يخرج الجواب عن قصد السؤال بعد بيان منافاة هذه المقاصد للجهاد في سبيل الله وبيان ان هذا القتال لاعلاء كلمة الله تعالى هو قتال في سبيل الله مما لا ينافي ولا يضاد الاخلاص كالقتال لطلب الثواب والله أعلم :
وأما القتال حمية بالحمية من فعل القلوب ولا يقتضي ذلك الا ان يكون مقصودا للفاعل إما مطلقا واما في مراد (١) الحديث ودلالة السياق حينئذ يكون قادحاً في القتال في سبيل الله تعالى اما لا يصرافه الى هذا الغرض وخروجه عن القتال لاعلاء كلمة الله تعالى واما لمشاركته المشاركة القادحة في الاخلاص ومعلوم ان المراد بالحمية الحمية لغير دين الله وبهذا يظهر لك ضعف الظاهرية في مواضع كثيرة ويتبين ان الكلام يستدل على المراد منه بقرائنه وسياقه ودلالة الدليل الخارج على المراد منه وغير ذلك *

فان قلت فاذا حملت قوله « قاتل للشجاعة » اى لاظهار الشجاعة فما الفائدة في قولهم بعد ذلك « يتاتل رياء » قلت يحتمل ان المراد بالرياء اظهار قصده للرجبة في ثواب الله تعالى والمسارة للقرابات وبذل النفس في مرضاة الله تعالى والمقاتل لاظهار الشجاعة مقاتل لغرض دنوي وهو تحصيل المحمدة والثناء من الناس عليه بالشجاعة والمقصود ان مختلفان الاتري ان العرب في جاهليتها كانت تقاتل للحمية واظهار الشجاعة ولم يكن لها قصد في المراآة باظهار الرغبة في ثواب الله تعالى والدار الآخرة فافترق القصدان . وكذلك ايضا القتال للحمية مخالف للقتال للشجاعة والقتال للرياء لان الاول قتال لطلب المحمدة بخلق الشجاعة وصبغتها وانها قائمة بالمقاتل وسجية له والقتال للحمية قد لا يكون كذلك وقد يقاتل الجبان حمية لقومه او لحريمه : مكره اخوك لا بطل * والله اعلم :